

الحلقة الثانية والتسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تخشى الظلمة مستمعي؟ وهل تخاف السير في شارع مظلم؟ بحق إن الظلمة مرعبة وهي أمر غير محبب لدينا جميعاً. وعندما يأتي الليل نرغب أن نشعل الضوء لكي نرى الأشخاص والأشياء من حولنا، ونتلمس طريقنا. فكلنا نحب النور ونكره الظلمة. هناك تعبير شائع يقول: «صغير الخائفين في الظلام». فعندما يخاف المرء من الظلام يبدأ بالصفير لكي يخفف عن نفسه، ويحاول أن يظهر للآخرين أنه غير خائف من الظلمة. لكن الحقيقة تكون عكس ذلك تماماً، فهو ولشدة خوفه يطلق الصفير.

هل تعلم مستمعي أنه ثبت علمياً أن الظلمة تعني غياب النور؟ فلا وجود للظلمة بحد ذاتها. لكن هل تعلم أننا نشبه الخطيئة بالظلمة؟ فكما أن الظلمة تعني غياب النور هكذا الخطيئة تعني غياب النور في حياة الإنسان. فالخطيئة عندما تسيطر على الإنسان تصبح حياته مظلمة، ولا يستطيع أن يسلك بالنور أي في طريق الصلاح. ولهذا نجد أن المخلص المسيح قد تحدث عن هذا الموضوع بالذات عندما قال: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (بشارة يوحنا ٨: ١٢). سنتأمل الآن بهذا التصريح الهام للمخلص يسوع المسيح فابقوا معنا.

لقد أكد المخلص المسيح في تصريحه مستمعي أنه «هو نور العالم». فماذا قصد المسيح بهذا التعبير؟ إنه أراد القول أنه كما أن الشمس هي التي تنير العالم الطبيعي، هكذا هو نور العالم الذي ينير حياة الإنسان روحياً. وكما أن الشمس عندما تظهر تختفي الظلمة، هكذا المسيح هو النور الذي يطرد الخطيئة من حياتنا.

لهذا نجد أن البشير يوحنا في بداية بشارته كتب قائلاً: «كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة ليشهد للنور، لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم. كان في العالم، وكون العالم به، ولم يعرفه العالم» (بشارة يوحنا ١: ٦-١٠). إن هذه الآيات المقدسة تكشف لنا حقيقة هامة، وهي أن النبي

يحيى يوحنا المعمدان، قد أرسل من قبل الله ليمهد الطريق أمام المسيح. وأنه لم يكن هو النور بل ليشهد للنور الحقيقي أي للمسيح الذي سينير كل إنسان. وكشف حقيقة هامة أخرى عن ماهية هذا النور الحقيقي أنه به كَوْن العالم.

وهذا أمر هام للغاية يؤكد لماذا اعتبر المسيح نفسه أنه هو نور العالم. فكلامه ليس ادعاء منه بل هو حقيقة. لأن المسيح هو كلمة الله الأزلي الكائن في الله الآب والذي بواسطته خلقت الأكوان والعوالم. وقد تجسّد وتنازل إلى عالمنا، لهذا استحق أن يكون هو نور العالم الحقيقي الذي يطرد الظلمة. ولهذا تابع المخلص المسيح كلامه أيضاً قائلاً: «مَنْ يَتَّبِعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ». فإذا كان المخلص المسيح هو نور العالم فمن البديهي أن كل من يتبعه سيشرق نور المسيح في داخله، وبالتالي يطرد هذا النور الظلمة أي الخطيئة من حياته. وهكذا يستطيع أن يسلك في النور، أي في طريق الصلاح والبر والاستقامة، ويتعد عن كل ما هو شرير وفساد. إذ أصبح النور هو الذي يضيء حياته ويقودها.

وهل هناك من شخص أضاء النور حياته يحب أن يعود إلى الظلمة؟ ولهذا كتب الرسول يوحنا إلى المؤمنين بالمسيح في رسالته قائلاً: «وَهَذَا هُوَ الْخَبْرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ اللَّهَ نُورٌ وَكَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ بَتَّةً. إِنَّ قُلْنَا: إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَكَلْمًا نَعْمَلُ الْحَقَّ. وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةً بَعْضُنَا مَعَ بَعْضٍ» (أيوحنا ١: ٥-١٧). أي عندما نسلك بالنور تكون لنا شركة مع الله خالقنا الذي هو نور بالكلية.

صديقي المستمع، إذا كان المسيح هو النور الحقيقي الذي يضيء حياة الإنسان، فلماذا لا يُقبل إليه كل الناس الذين يعيشون في الظلمة أي في الخطيئة؟ أجابنا المخلص المسيح نفسه عن هذا السؤال عندما قال لنيقوديموس أحد رؤساء اليهود من الفريسيين: «وَهَذِهِ هِيَ الدِّينُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلَا يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِنَلَّا تُوْبِحَ أَعْمَالَهُ. وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبَلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ» (بشارة يوحنا ٣: ١٩-٢١).

إذن إن معظم الناس لا يقبلون إلى النور الذي هو المسيح المخلص، لأنهم يحبون البقاء في الظلمة، أي يرغبون أن يستمروا في حياة الخطيئة والآثام. فهم يبغضون النور، والسبب لأنه يكشف أعمالهم الشريرة. ولا أحد طبعاً يرغب أن يراه أحد عندما يمارس الخطيئة لكي لا تفضح أعماله الشريرة، لهذا يحب الظلمة. لكن في المقابل هناك من يقبل إلى النور أي إلى المسيح المخلص، لأنه

يريد أن يتوب عن خطاياہ وآثامہ، وأن يضيء المسيح حياته. وعندها يستطيع أن يسلك في النور، وأن يبتعد عن طريق الآثام والخطيئة. هذا الإنسان فقط يتبرر أمام الله لأنه قبل أي آمن بالنور.

هل تعلم مستمعي أن الإنسان عندما يُقبل إلى النور، أي يؤمن بالمسيح المخلص، يصبح هو نفسه نوراً للعالم؟ لهذا قال المسيح لتلاميذه وللمؤمنين به: «أنتم نور العالم. لا يمكن أن تخفي مدينة مَوْضُوعَةً عَلَى جَبَلٍ، وَلَا يُوقَدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ» (بشارة متى ٥: ١٤-١٥). إذن إن المؤمن بالمسيح يُصبح أيضاً نوراً للآخرين لا يمكن اخفاؤه، لأن شهادته الحيّة واستقامته تظهر أمامهم بكل وضوح.

فهل تود مستمعي أن تُقبل أنت إلى النور الحقيقي أي إلى المسيح المخلص؟ وهكذا يُنير المسيح حياتك ويطرد الظلمة منها، أي يحررك من عبودية الخطيئة، ويغفر خطاياك وتصبح مبرراً أمام الله!